في طريق التكوين » ينتهي الى مقارنات مستنبطة ويغلب عليها طابع المفارقة . فاعتبار الحركة الصهيونية بمثابة « حكومة » تسعى للحصول على دولة يقودنا الى التساؤل عن مقومات تلك الحكومة الصهيونية التي كانت بدون دولة تحكمها . مثلما ان اعتبار المؤتمر الصهيوني في مقام المجلس التمثيلي أو « برلمان الحركة الصهيونية » ــ كما تصفه مصادر التاريخ الصهيوني ــ يؤدي بنا الى اثارة المزيد من التساؤلات المتعلقة بحجم « السكان » الذين يدعي تمثيلهم والنطق باسمهم . فالاكثرية الساحقة بين يهود العالم ظلت قابعة خارج حظيرة الحركة الصهيونية ومنظمتها العالمية . والمؤتمر الصهيوني ادعى لنفسه صفة تمثيل ما أسماه بـ « الشعب اليهودي » ، بعد أن أضفى على مفهومه لهذا الشعب تصورا ينسب اليه ككل صفة السعي نحو تقرير المصير واقامة الكيان الذاتي المستقل . حتى ان الموسوعة الصادرة مؤخرا عن « اسرائيل والصهيونية » ارتأت تخفيف حدة المفارقة العجيبة بواسطة استدراك مفاده ان « برلمان الحركة الصهيونية » (أو المؤتمر الصهيوني الذي أوجده هرتزل) كان في البداية « يرمز » ، بدلا من « يمثل » ، الى تقرير المصير الذي سعى اليه « الشعب اليهودي » . واعتبر كاتب المقالة عن « المؤتمر الصهيوني » في الموسوعة المشار اليها ان هذا المؤتمر جاء رمزا لاحساس اليهود بوحدتهم القومية ، وتعبيرا عن رغبتهم في احراز الكيان السياسي ضمن اطار دولة مستقلة . وفي مقالة عن « تاريخ الصهيونية » تضمها الموسوعة اياها يوصف المؤتمر الصهيوني بأنه قد أصبح « البرلمان اليهودي في المنفى » .

بينما شاء ناحوم غولدمان أن يوجز طبيعة الملابسات التي أحاطت بمدلول المفارقة على صعيد الواقع والممارسة العملية ، كما على الصعيد النظري المجرد ، فقال ان مشكلة الحركة الصهيونية وأجهزتها الرسمية كانت في « التصرف كدولة دون ان تكون دولة ! » علما بأن الوكالة اليهودية ــ التابعة للمنظمة الصهيونية ــ لم تترك فرصة تفوت في ظل الانتداب البريطاني على فلسطين دون أن تتصرف على غرار « حكومة داخل الحكومة » او « دولة ضمن الدولة المنتدبة » .

ولكي نتوقف عن الاستطراد في اجراء المقارنات واستخدام التشابيه والاستعارات ، يجدر بنا الانتقال الى صلب الموضوع الذي تحاول هذه الدراسة تناوله بالبحث والتحليل ، الى جانب الوصف والتقرير . بيد أن التعميمات المتقدم ذكرها تمت بوثيق الصلة الى موضوعنا ، كما انها تؤلف خلفيته التاريخية بكافة منظوراتها الايديولوجية والتنظيمية والعملية (على صعيد التركيز السكاني وعبر ارساء قواعد للاستعمار الاستيطاني) .

ان السؤال التمهيدي الذي تطرحه هذه الدراسة ، لتحاول الانطلاق منه الى متابعة البحث في الحركة الصهيونية العالمية بعد قيام الدولة اليهودية ــ اسرائيل ــ بفلسطين ، يتعلق بالمبررات وراء وجود تلك الحركة واستمرارها في العمل والنشاط عقب انشاء الدولة التي كانت تنشدها ، وغداة تحقيق الهدف السياسي الذي سعت نحو بلوغه طيلة نصف قرن من تاريخها . وعلى محمل السذاجة ، انه لمن الطبيعي أن تبادر حركة سياسية تتوسل الاستعمار الاستيطاني لبلوغ هدفها الى حل نفسها أو الى اعتبار مهمتها في حكم المنتهية ، بعد احراز الهدف وانجاز المهمة . لكن الحركة الصهيونية استمرت على قيد الوجود بعد أن أوجدت دولتها اليهودية المنشودة . ولقد انقضى على وجودها منذ قيام اسرائيل وحتى الآن ما يقارب ربع قرن من الزمن . هذه الفترة من وجود الحركة الصهيونية العالمية في ظل الدولة اليهودية القائمة فوق أرض فلسطين تؤلف الاطار العام لتحرك الدراسة ــ على امتداد خمس وعشرين عاما (١٩٤٨ ــ ١٩٧٣) من التطورات والنشاط المتواصل في خدمة أهداف بعيدة المدى تتجاوز حدود البرنامج الصهيوني الاصلي وتتعدى نطاق الغايات المعلنة .

لذا يجوز للباحث في موضوع الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل أن يتساءل : كيف